

حنا ميخائيل: سيرة مناضل

في سياق مسيرة شعب

لم يتجاوز الأربعين إلا قليلاً حينما استشهد في البحر. وخلال هذه الأعوام القليلة برز حنا ميخائيل (أبو عمر) كأحد المناضلين النادرين في سبيل حرية شعبه، وقدم طرازاً قلما تكرر ليساريين تطلّعوا إلى تغيير العالم بالثورة المسلحة، وأبدعوا في خضم ذلك التطلع اللاهيب سيرة بديعة، ومسلكاً رفيعاً، وطموحاً متألّقاً وأثراً لا يُنسى. وهذا الأستاذ الجامعي المرموق اختار أن يترك موقعه الأكاديمي في جامعة هارفرد، ومستقبله العلمي المضمون في الولايات المتحدة الأميركية، ويلتحق بقواعد الفدائيين في قفار الأردن.

ولد حنا ميخائيل في مدينة رام الله المتمددة على التلال، واستشهد في مكان مجهول بعدما اختطف بين أمواج البحر الأبيض المتوسط. لم يعرف أحد هل تعمد جسده بأملاح البحر، أم تلاشى بين تراب الأرض. ومهما يكن أمر غيابه، فإن اسم حنا ميخائيل الموشوم بالنار المقدسة لا يزال يحتل صفحة وضاعة في التاريخ القريب للنضال الفلسطيني، وفي ذاكرة الذين شاهدوا أبهى حقبة من تاريخ العرب الحديث، وشهدوا لها في الوقت نفسه، وما نحن، هنا الآن، نميط اللثام عن هذه الصفحة، ونشهد لها.

إعادة النظر في مقولاتهم الموروثة، وفي الخروج من شرائق الفكر القومي التقليدي إلى رحاب الماركسية الثورية. وفي هذا الميدان لمع صادق جلال العظم وأدونيس والعفيف الأخضر وعصام الدين حفني ناصف وبو علي ياسين ونوال السعداوي وعبد العزيز الدوري وعبد الله العلايلي وغيرهم كثيرون. وكانت ثورات الستينيات من القرن المنصرم، مثل الثورة الفيبينتامية، وثورة الطلاب في أيار/مايو 1968 في باريس، وحركات الاحتجاج الراديكالية على حرب فيتنام ("البييز"، مثلاً، في الولايات المتحدة الأميركية)، وقوة المثال الذي أطلقه استشهاد غيفارا في غابات بوليفيا، تغمر بوعودها العظيمة وأحلامها الجميلة كيان الشبان العرب، وكان اليسار الجديد، بدعوته إلى التحرر القومي والاجتماعي والجنسي يبدن عياً نقدياً جديداً في العالم الغربي بأسره، ويطلق في سمائه مفكرين جدداً من عيار هربرت ماركيز ولهلم رايش وإريك فروم وراول فانيغام، وحتى روجيه غارودي قبل أن ينقلب إلى الإسلام.

في هذا المناخ المضطرب كان هناك شاب فلسطيني من رام الله يبحث عن يقين ثوري، ويتطلع إلى إرساء وعي جديد يقوم على الحرية أولاً وأخيراً: حرية الفرد، وتحرر الفئات المسحوقة اجتماعياً، وتحرير وطنه من الاحتلال الإسرائيلي. كان اسم ذلك الشاب حنا ميخائيل.

خلال سبعة عقود فقط، أي ما بين سنة 1947 وسنة 2010، احتدمت في العالم العربي أحداث كبرى خلّقت ثباته وقلقت ركوده وزحزحت استقراره. وشهد العرب، في أثناء ذلك، سبع نكبات متتالية هي: نكبة فلسطين سنة 1948؛ انفكك الوحدة السورية - المصرية سنة 1961؛ هزيمة الخامس من حزيران/يونيو 1967؛ اندلاع الحرب الأهلية في لبنان سنة 1975؛ زيارة الرئيس المصري أنور السادات للقدس في سنة 1977؛ خروج المقاومة الفلسطينية من لبنان سنة 1982؛ سقوط بغداد في سنة 2003.

غير أن هذه النكبات لم تكن سيدة الميدان تماماً، فثمة تحولات أخرى وقعت، إمّا كردّ عليها، وإمّا تطورت في سياقها وفي مواجهتها معاً، مثل ثورة الضباط الأحرار في مصر سنة 1952، والمواجهة الكبرى في سنة 1956 (تأميم قناة السويس والعدوان الثلاثي على مصر)، وانتصار الثورة الجزائرية سنة 1962، وانطلاقة الثورة الفلسطينية المعاصرة في سنة 1965.

لعل هزيمة حزيران/يونيو 1967 كانت الأبعد أثراً في العالم العربي بعد نكبة 1948، فقد أطلقت موجة من النقد الراديكالي للفكر السياسي القديم كله، وبدأ نقد الناصرية والقومية العربية والشيوعية الستالينية (محسن إبراهيم ومحمد كشلي ومنيف الرزاز وياسين الحافظ)، وشرع بعض المفكرين في

مَن هو؟

أستاذ القانون في جامعة هارفرد ديركوفيتش. وقد جرت المناظرة من مكانين منفصلين، ودافع حنا ميخائيل عن الحل الديمقراطي للصراع العربي - الإسرائيلي، وتفوق على خصمه تفوقاً باهراً. في سنة 1971 كان "أبو عمر" عضواً في "قيادة الأحرار" بعد الخروج من عمّان جرّاء معارك أيلول/سبتمبر 1970 (المقصود أحرار جرش وعجلون التي انتقلت إليها قوات الثورة الفلسطينية آنذاك). وكان على رأس القيادة خليل الوزير (أبو جهاد)، ومن أعضائها أحمد عفانة (أبو المعتمض) وصخر حبش (أبو نزار) وكمال عدوان وعثمان أبو غربية وإسحق الدقس. وفي تلك الأحرار توطدت علاقته بالكاتب الفرنسي المشهور جان جينيه الذي كتب عنه وعن الفدائيين مقالات كثيرة وكتاباً شاملاً هو "أسير عاشق"، ترجمة كاظم جهاد (القاهرة: دار شوقيات، 1997). وفي أواخر سنة 1971 أصبح عضواً في قيادة "القطاع الغربي" في أثناء تسلم كمال عدوان القيادة، وتولى صخر حبش موقع نائب القائد، وعبد الفتاح القلقيلي (أبو نائل) مسؤولية التعبئة، بينما تولى أبو عمر مسؤولية التنظيم.

كانت حركة "فتح" الحركة الوحيدة التي يمكن أن ينتمي إليها حنا ميخائيل من بين جميع المنظمات الفلسطينية "لأنها واسعة بما يكفي لتمثيل الجميع"، بحسب ما أسرّ به إلى إدوارد سعيد (انظر تقديم إدوارد سعيد للطبعة العربية من أطروحة حنا ميخائيل "السياسة والوحي"). وفي إطار هذه الحركة عمل على تأسيس تيار يساري ديمقراطي ثوري يعتقد فكرة الكفاح المسلح لتحرير فلسطين، ويقف ضد التسويات المهينة للقضية الفلسطينية، ويتبنى مضامين قومية عربية تقدمية ويسارية معاً. وفعلاً، ظهرت نواة هذا التيار في سنة 1974، وبالتحديد في "لجنة المئة" التابعة للقطاع الغربي الذي انتقلت قيادته إلى "أبو جهاد" بعد استشهاد كمال عدوان في بيروت في 10/4/1973. عرضت عليه حركة "فتح" في سنة 1974 أن يعود إلى الولايات المتحدة الأميركية، وأن يتسلم منصب ممثل منظمة التحرير الفلسطينية لدى الأمم المتحدة فرض. فاعتمد باسل عقل لهذا الموقع في البداية، وعُيّن زهدي الطرزي مديراً لمكتب المنظمة في نيويورك. وفي تلك المرحلة تزوج الناشطة الفلسطينية جيهان الحلو، ثم التحق بدورة عسكرية في فييتنام سنة 1975 دامت ستة أشهر، وكان قائد الدورة "نعيم"، واسمه الحقيقي عبد

ولد حنا ميخائيل في رام الله سنة 1935، ودرس في مدرسة الفرنرز المشهورة. ثم سافر إلى الولايات المتحدة الأميركية لدراسة الكيمياء، فالتحق بكلية هافر فورد ونال البكالوريوس منها، ثم انتقل إلى جامعة هارفرد لدراسة العلوم السياسية، وهناك التقى هنري كيسنجر الذي كان واحداً من أساتذته، ثم مال إلى الدراسات الإسلامية، وتخرج فيها في نيسان/أبريل 1968. وكان عنوان أطروحته "السياسة والوحي: الماوردي وما بعده" التي كتبها بإشراف هاملتون غيب، وأصدرتها مطبعة جامعة إندبرغ في إنجلترا سنة 1995. وقد ترجمها شكري رحيم إلى العربية، ثم صدرت عن دار الطليعة في بيروت سنة 1997 مع مقدمة كتبها إدوارد سعيد. وفي أثناء دراسته، وبالتحديد بين سنة 1965 وسنة 1966، عمل "أبو عمر" مدرّساً للغة العربية في الدورات الصيفية لطلاب دراسات الشرق الأوسط في جامعة برنستون. ثم انتقل إلى جامعة سياتل في ولاية واشنطن على الساحل الغربي للولايات المتحدة الأميركية ليعمل فيها أستاذاً مساعداً في دراسات الشرق الأوسط.

نال البطاقة الخضراء (Green card)، لكنه لم يحصل على الجنسية الأميركية، وإنما سارع إلى الالتحاق بحركة "فتح" في سنة 1968 بعدما تحولت من حركة مقاومة إلى حركة تحرر وطني بعد معركة الكرامة في 21/3/1968. فغادر الولايات المتحدة الأميركية في أواخر صيف سنة 1968 إلى عمّان، وانفصل عن زوجته الأميركية... وهكذا تحول حنا ميخائيل إلى "أبو عمر".

في رحاب "فتح"

انضم حنا ميخائيل إلى "دائرة العلاقات الخارجية" في حركة "فتح"، وتمكن من إقامة علاقات متينة باليسار الفرنسي والأميركي والإيطالي، وكان، في الوقت نفسه، يعمل في "القطاع الغربي" بقيادة الشهيد كمال عدوان، وهو القطاع المتخصص بالنشاط الفدائي السري في الأراضي الفلسطينية المحتلة. وقد كلفته حركة "فتح" في آب/أغسطس 1969 العودة إلى الولايات المتحدة الأميركية لمناظرة يهوشفاط هرخابي، الرئيس السابق لشعبة الاستخبارات العسكرية في الجيش الإسرائيلي، في البرنامج الأكاديمي والتلفزيوني المشهور Advocate الذي كان يديره

الحמיד محمود وشاحي، وهو فدائي أمي، ومن خيرة المناضلين في حركة "فتح"، وأكثرهم فهماً للسياسة، ونقاء في المسلكية اليومية. وقد علمه "أبو عمر"، بقدر الإمكان، دروساً في الكتابة والقراءة حتى صار "شبه أمي". وكان من نصيبه أن يُستشهد الاثنان معاً في البحر سنة 1976. وفي أي حال، فقد تأثر "أبو عمر" كثيراً بالتجربة الفييتنامية، ولا سيما بطريقة تنظيم الفلاحين في حزب ماركسي - لينيني، واعتقد أن في الإمكان الاستفادة من هذه التجربة في فلسطين لبناء حركة يسارية ديمقراطية مسلحة.

"التيار الديمقراطي"

أطلقت حرب تشرين الأول/أكتوبر 1973 مجادلات كثيفة في الوسط الفلسطيني، ومشاحنات سياسية وصلت، في بعض الأحيان، إلى الصدامات المسلحة. وكان من أعلى الأصوات حينذاك الرأي القائل إن ميزان القوى بات يميل بعد هذه الحرب إلى مصلحة العرب ولو جزئياً، وإن في الإمكان انتزاع بعض الحقوق من إسرائيل من دون تقديم تنازلات. وجرى تحديد ما هو ممكن في تلك المرحلة بالانسحاب من الضفة الغربية وقطاع غزة. وعلى قاعدة هذه الأفكار تبنت منظمة التحرير الفلسطينية في المجلس الوطني الفلسطيني الثاني عشر (القاهرة، 1974) برنامج النقاط العشر المشهور. وعلى الفور انقسم الفلسطينيون إلى تيارين: تيار منظمة التحرير الفلسطينية الذي لا يرفض التفاوض مع إسرائيل لانتزاع دولة فلسطينية على الضفة والقطاع، وتيار المعارضة الذي رفض هذا الخط، وأعلن قيام "جبهة القوى الفلسطينية الراضة للحلول الاستسلامية" التي عُرفت، اختصاراً، بـ "جبهة الرفض".

لم تنجُ حركة "فتح" من هذا الانشطار تماماً؛ فقد ظهرت فيها ثلاثة اتجاهات هي، بحسب وصف عبد الفتاح القلقلي (أبو نائل) التالية: المفرطون والمفرطون والواقعيون. المفرطون هم الذين ساروا في ركاب التسوية السياسية متوهمين أنها ستمنحهم بعض الحقوق التاريخية. أما المفرطون فهم الذين وقفوا دائماً ضد العمل السياسي المباشر، وتمترسوا خلف شعارات عامة، مثل "لا صوت يعلو فوق صوت البندقية"، وهؤلاء يشبهون اليوم "مناضلي" الإنترنت الذين ينثرون الكلام الغاضب هنا وهناك بلا أي تجربة أو مسؤولية. بينما الواقعيون

الثوريون هم الذين لم يرفضوا فكرة التفاوض والتسوية في المطلق، بل رفضوا تلك التسوية بعينها آنذاك، واعتقدوا أن ميزان القوى ليس لمصلحة العرب، وإنما لمصلحة إسرائيل. ودعا هؤلاء إلى النضال في سبيل تغيير موازين القوى كي يتمكنوا من انتزاع ولو جزء من الحقوق الوطنية التاريخية. كان حنا ميخائيل ينتمي إلى هذا الاتجاه الثالث، ويرى أن البرنامج المرهلي، أي "برنامج النقاط العشر" ليس "برنامج التحرير على مراحل"، وإنما "برنامج الاستسلام على مراحل"، فاجتهد في تأسيس مجموعة يسارية معارضة داخل حركة "فتح". لكن هذه المجموعة التي سُميت، لاحقاً، "التيار الديمقراطي"، تحولت إلى كتل سياسي غريب عجيب اختلطت فيه المصالح المتنافرة أیما اختلاط، وأدت إلى نهايات مأساوية، وهي غير ما تطلع إليه "أبو عمر"، وناضل في سبيله حتى استشهاده.

التجربة المرة

لم ينشأ اليسار الفلسطيني الجديد عن رحم اليسار التقليدي، وبالتحديد اليسار الشيوعي، وإنما عن رحم الحركة القومية العربية، أو عن رؤوس المثقفين الذين درسوا في الجامعات الغربية. وكان لليسار الشيوعي في فلسطين حضور لافت منذ عشرينيات القرن العشرين، لكنه انحسر كثيراً بعد إعلان تأييده قرار التقسيم في سنة 1947، وانحلّ عقد الشيوعيين بعد نكبة 1948، وتناثروا هنا وهناك. غير أن اليسار الفلسطيني عاد فظهر بقوة بعد هزيمة 1967. والمفارقة هي أن هذا التحول نصح من دون أن يكون للشيوعيين الفلسطينيين أي تأثير في ذلك؛ فقد انبثق اليسار من داخل المنظمات القومية، وبالتحديد من صفوف حركة القوميين العرب، نتيجة الهزة العميقة التي أحدثتها هزيمة 1967 في الفكر القومي. وفي أي حال، فقد تبنى القوميون العرب ماركسية جديدة تختلف عن الماركسية السوفياتية. كما أن هذا اليسار الجديد لم يظهر جراً الخبرة المتراكمة في ميدان النضال الاجتماعي، أو جراً وعي فكري مطابق، وإنما نتيجة صعود الماركسية الثورية على المستوى العالمي، ولمعان صورتها على أيدي الفييتكونغ وهوشي منه في فييتنام، والثورة الصينية وماوتسي تونغ في الصين، والثورة الكوبية وكاسترو في كوبا، وثورات أميركا اللاتينية وغيفارا

والتوباماروس، واليسار الجديد في أوروبا،
والتمردات العمالية والطالبية في بولونيا والمجر
وألمانيا الشرقية... وغير ذلك من الحركات الثورية
التي ألهمت خيال الشبيبة في العالم كله.

إن مقتل اليسار الفلسطيني الجديد كان عدم
ثباته؛ فقد بدأ بعض منظماته مسيرته بمناعة النظم
العربية الاستبدادية والرجعية، وفي نقد اليمين
الفلسطيني معاً. لكن هذه المنظمات لم تلبث أن
التحقت بتيار الوسط، أي بحركة "فتح"، بعد حرب
تشرين الأول/أكتوبر 1973. وعلى سبيل المثال،
تحالف "فتح" والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين
على قاعدة الدفاع عن برنامج النقاط العشر. أما
جبهة الرفض "اليسارية" فقد اتكأت في معارضتها
الخط السياسي الجديد لمنظمة التحرير الفلسطينية
على نظام أحمد حسن البكر وصدام حسين الذي
أدار ظهره للمقاومة الفلسطينية في سنة 1970،
وتبنى صبري البنا (أبو نضال) في عملياته
الإرهابية التي طالت، أول من طالت، قادة المنظمة
نفسها. وبهذه السياسة فقدت جبهة الرفض صدقيتها
ومبدئيها معاً. ثم إن هذا اليسار ظل تقليدياً في
استنتاجاته النظرية التي بناها على التسليم بوجود
"طبقة عاملة فلسطينية" في الشتات، ولم يكتشف أن
العمال الفلسطينيين هؤلاء إنما هم "يد عاملة" في
هيكل الإنتاج الاقتصادي للدول المضيفة، وليسوا
طبقة اجتماعية ذات سمات مستقلة. لهذا كان من
المحال تأسيس حزب للطبقة العاملة الفلسطينية من
دون طبقة عاملة فلسطينية. وهذا هو الوهم الذي
وقع فيه يساريون كثر بينهم حنا ميخائيل نفسه.
وقصارى القول في هذا الميدان أن الماركسية لم
تتغلغل عميقاً في وعي الفدائيين، وإنما ظلت حالة
خارجية، ومجرد ملجأ أيديولوجي بعد أن تخلخت
ركائز الفكر الناصري والقومي بهزيمة 1967،
مثلما صار الإسلام ملجأً أيديولوجياً للحركات
والأفراد التي أمست عارية بانهايار حركات التحرر
الوطني في الربع الأخير من القرن العشرين.
في هذا المناخ حاول "أبو عمر" أن يؤسس
تكتلاً يسارياً ليتخطى نطاق حركة "فتح"، مع أن
نواته التأسيسية بدأت في هذه الحركة. وقد كتب
بنفسه الوثيقة الفكرية لهذا التكتل في أوائل سنة
1975 التي حملت العنوان التالي: "ملاحظات أولية
حول الثورة العربية"، وكانت الأفكار العامة
الواردة فيها تتطلع إلى بناء حزب فلسطيني
ماركسي - لينيني مقاتل، وفي المدى الأبعد إلى
تأسيس حزب شيوعي عربي موحد.

إن ما سُمّي "التيار الديمقراطي" في حركة
"فتح"، والذي زرع حنا ميخائيل بذرته الأولى، لم
يظهر فعلياً إلا بعد استشهاد. وكان عناصر هذا
التيار، الذين رفضوا "التسوية" التي كانت متداولة
آنذاك، ينتمون، في معظمهم، إلى الاتجاه الثالث في
الحركة، وتبين أن لا تسوية جدية عُرضت على
الفلسطينيين في تلك الحقبة، بل كان ذلك كله أوهاماً
بأوهام. وفي أي حال، فقد حل الياس شوفاني محل
"أبو عمر" في اللجنة التأسيسية بعد استشهاده في
سنة 1976، وصار قوام هذا التكتل كالتالي: موسى
العملة (أبو خالد)؛ مرعي عبد الرحمن (أبو
فارس)؛ أبو خالد حسين؛ الياس شوفاني؛ ومن
خارج "فتح" علي إسحق وأحمد نجم (جبهة
التحرير الفلسطينية). وكان يجري في ملاعب
التكتل كل من: سعيد موسى مراغة (أبو موسى)؛
ماجد أبو شرار (أبو سلام)؛ نمر صالح (أبو
صالح)؛ منير شفيق (أبو فادي)، قبل تحوله إلى
الإسلام؛ محمد أبو ميزر (أبو حاتم)؛ سميح أبو
كويك (قديري)؛ غطاس صويص (نزيه أبو نضال)؛
يحيى يخلف (أبو هيثم)؛ مي صايغ. وكان هذا
التكتل يقيم تنسيقاً خفياً مع ناجي علوش (أبو
إبراهيم) المرتبط سرياً آنذاك بصبري البنا (أبو
نضال).

يروى الياس شوفاني في مذكراته الموسومة
بعنوان: "مرثية الصفاء" (دمشق: دار الحصاد،
2009) أن ياسر عرفات كان اخترق هذا التكتل
بمرعي عبد الرحمن (أبو فارس)، الأمر الذي أدى
إلى فصله في سنة 1980. ولم تلبث قيادة هذا التكتل
أن اقتصرت على اثنين هما أبو خالد العملة والياس
شوفاني بعد فصل مرعي عبد الرحمن، واعتكاف
علي إسحق. ثم توقفت علاقاتها بالقوى السياسية،
واكتفت بتعزيز العلاقات مع "حزب الشعب
الديمقراطي" في لبنان بقيادة نزيه حمزة و"رابطة
الشغيلة" بقيادة زاهر الخطيب. وللعلم، فإن هاتين
المنظمتين مجتمعتين لم يبلغ عدد أعضائهما، في
ذروة نشاطهما، نصف كتيبة من كتائب حركة
"فتح".

المهمة الحمقاء

في سنة 1976 كان بعض زمر حركة "فتح"
في شمال لبنان قد عاث فساداً في المنطقة، وعلت
شكوى الناس من سلوك أبو هاجم (غازي عطاالله)
وجماعته. فقرّ الرأي على إرسال مجموعات نظيفة

من الحركة لوضع حد لذلك الفلتان. واختير نعيم ليكون قائد الميليشيا في الشمال، وهو، بدوره، اقترح أن يكون "أبو عمر" نائبه والمفوض السياسي لقوات الحركة. واختار الاثنان ثمانية من عناصر "فتح" المشهود لهم بالكفاءة وحسن السلوك. ولم يكن ثمة طريق من بيروت إلى طرابلس؛ فطريق الجبل - البقاع - الهرمل لا يمكن استخدامه بسبب الصراع العسكري مع الجيش السوري. ومن المحال استخدام طريق الساحل بسبب الحرب مع "الجبهة اللبنانية" والقوات العسكرية لحزب الكتائب. ولم يبقَ إلا سلوك طريق البحر. هكذا أقلَّ قارب صغير المجموعة الفدائية من مرسى الحمام العسكري في منطقة المنارة في رأس بيروت إلى طرابلس. لكن المجموعة لم تصل إلى مقصدها قط، والراجح أن الإسرائيليين الذين كانت زوارقهم الحربية تجوب البحر، اعتقلوا عناصر المجموعة وسلموهم إلى حزب الكتائب الذي أعدمهم.

هكذا طوى الاستشهاد الغامض لحنا ميخائيل طموحات فكرية راقية، وتطلعات نضالية شتى. لكن "المنظمة" التي أسسها "أبو عمر" تحولت إلى مجموعة سرية يقودها بعض الضباط الذين عملوا على استغلال الأوضاع التي نشأت بعد حرب 1982، وأقدموا على التمرد المسلح، وانشقوا على حركة "فتح"، وتسببوا بمعارك دموية في البقاع وطرابلس ومخيمي البداوي ونهر البارد، وأورثوا الوضع الفلسطيني إنهاكاً وهلهلة، وقدموا طرازاً سيئاً من السلوك السياسي والاستخباراتي فاق بسوئه مئات المرات كل ما كان يُقال عن سلوك بعض المسؤولين السيين في حركة "فتح". وعلى العموم، فإن هذه المجموعة التي كثيراً ما ادعت أنها "يسار

فتح"، تبين، ولا سيما بعد غياب مؤسسها، أنها يمينية تماماً. وللإنصاف، فإن الانشقاق الذي وقع في 1983/5/9 لم يندلع على يد المنظمة الحزبية، وإنما على أيدي بعض الضباط الذين التحقوا بهذه الحركة الانشقاقية الواحد تلو الآخر، وعلى مراحل متقاربة، بذريعة رفضهم القرار الذي اتخذه ياسر عرفات في 1983/5/7، والقاضي بتعيين غازي عطاالله، وهو شقيق عطاالله عطاالله (أبو الزعيم) الذي اشتهر بسوء السلوك والعلاقات الاستخباراتية المريبة، والحاج إسماعيل جبر المتهم بترك قواته في الجنوب اللبناني في إبان الحرب والانسحاب إلى البقاع، بإمرة أحمد عفانة (أبو المعتمصم) الذي عُين قائداً لقوات "فتح" في البقاع بعد اغتيال العميد سعد صايل (أبو الوليد) في 1982/9/27. أما أعضاء المنظمة الحزبية التي أسسها "أبو عمر" فقد التحق معظمهم بالحركة الانشقاقية، ولم يكونوا من المبادرين إليها، ولم يلبث كثير من منهم أن أداروا ظهورهم لها.

اندثرت، بالتدريج، المنظمة الحزبية التي زرع بذورها حنا ميخائيل. وللأسف، فقد انتصر الانحلال على الجميع، وهو قانون بيولوجي ينطبق على الإنسان، وقانون سياسي ينطبق على الأحزاب والمجموعات أيضاً؛ ففي الفيزياء هناك مصطلح التآكل، وفي البيولوجيا هناك مصطلح الشيخوخة، وفي الكيمياء ثمة مصطلح التحلل، وفي علم الاجتماع مصطلح الفساد، وفي التاريخ مصطلح الانحطاط. ويبدو أن هذه المصطلحات والمفاهيم الرديفة كلها تتضافر اليوم لتفتك بالوضع الفلسطيني أيما فتك، وهو ما كان حنا ميخائيل ليتخيله على هذه الصورة قط. ■